



قراءة وصفية ونقدية لمجازر الثامن ماي 1945 م على ضوء بعض

الشخصيات التاريخية

A descriptive and critical reading of the massacres of May 8, 1945 AD in the light of some historical figures

محمد سيف الإسلام بوفلافة*

كلية الآداب، جامعة عنابة (الجزائر)

البريدي الالكتروني: mohamed-saif-al-islam.boufalaka@univ-annaba.dz

تاريخ النشر

2024/12/01

تاريخ القبول

2024/09/16

تاريخ الإيداع

2024/06/9

الملخص: لا يختلف اثنان على أن مجازر 8 ماي 1945، - على وجه أخص - قد حظيت بعناية فائقة، واهتمام بالغ؛ قل أن نجد نظيراً له، ولا أدل على ذلك من المؤتمرات، والدورات، والألبيم الرأسية التي نُظمت في شتى المدن الجزائرية، ويضاف إلى هذه التظاهرات العلمية والثقافية؛ الكتب والمقالات، والأبحاث والدراسات، التي نُشرت بشأنها، فقد نهضت لائحة من المؤرخين والدارسين والباحثين على اختلاف توجهاتهم بمهمة مقارنة تلك المجازر الرهيبة، درساً وتحليلاً؛ والحقيقة أننا لا نستغرب أن تحظى شتى ذكريات ثورة التحرير المضطرة بعناية كبيرة؛ ويهدف هذا البحث إلى تقديم معالجة تحليلية لنماذج من الكتابات التاريخية التي ركزت على مجازر 8 ماي 1945 الرهيبة، ويقوم هذا البحث التاريخي على المنهج الوصفي التحليلي الذي ينسجم مع طبيعة البحث، إذ يركز على رصد وتتبع بعض الشهادات والمذكرات التاريخية التي عُتت بمجازر 8 ماي 1945.

الكلمات المفتاحية: مجازر؛ استعمار؛ إبادة؛ معالجة؛ الجزائر.

Abstract: No one disagrees that the massacres of May 8, 1945, in particular, received great care and attention. It is rare to find a counterpart to it, and there is no clearer evidence of that than the conferences, seminars, and study days that were organized in various Algerian cities, and in addition to these scientific and cultural demonstrations; Books, articles, research and studies that have been published about it. A group of historians, scholars and researchers of different orientations have undertaken the task of approaching these terrible massacres, through study and analysis. In fact, we are not surprised that the various memories of the victorious liberation revolution receive

* المؤلف المرسل

great attention. This research aims to provide an analytical treatment of examples of historical writings that focused on the terrible massacres of May 8, 1945 AD. This historical research is based on the descriptive and analytical method.

Keywords: massacres ; colonisation; Extermination, traitement, Algérie.

مقدمة:

على الرغم من أن عدداً غير قليل من الأقلام الجزائرية؛ تناولت موضوع الجذور التاريخية لثورة نوفمبر 1954 م بالدراسة والتحليل، وذلك إما في الدراسات التاريخية، ولما في بعض الدراسات الأدبية؛ بيد أن أحداً من الدارسين، في حدود ما بلغناه من الاطلاع على الأقل، تناول هذا الموضوع بالوقوف مع تحليل الكتابات التاريخية المنجزة، والاقتصار على مجازر 8 ماي 1945، وأبعادها، وخلفياتها، وأسبابها، وانعكاساتها، ولا يختلف اثنان على أن مجازر 8 ماي 1945، - على وجه أخص - قد حظيت بعناية فائقة، واهتمام بالغ؛ قل أن نجد نظيراً له، ولا أدل على ذلك من المؤتمرات، والندوات، والألبيم التراسية التي دُفنت في شتى المدن الجزائرية، ويضاف إلى هذه التظاهرات العلمية والثقافية؛ الكتب والمقالات، والأبحاث والدراسات، التي نُشرت بشأنها، فقد نهضت لُلة من المؤرخين والدارسين والباحثين على اختلاف توجهاتهم بمهمة مقارنة تلك المجازر الرهيبة، درساً وتحليلاً؛ والحقيقة أننا لا نستغرب أن تحظى ذكريات ثورة التحرير المضفرة بعناية كبيرة؛ حيث إن ذكريات الثورة الجزائرية العظيمة كثيرة، ومتنوعة، بحيث لا يكاد يخلو شهر من الشهور من ذكريات خالدة، قدّم فيها الشعب الجزائري تضحيات مجيدة، تفتخر بها الأجيال على مرّ العصور، والأزمنة، وعندما يُذكر شهر ماي يتبادر إلى أذهان الجزائريين تلك المظاهرات العارمة، وتلك المجازر الرهيبة، والبشعة التي ارتكبتها قوات الاستعمار الفرنسي، وكانت لها جملة من الآثار، والانعكاسات العميقة على مسار التاريخ الجزائري الحديث؛ إنها مجازر رهيبة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً من قبل، إلى درجة أن عدداً غير قليل من المؤرخين، والدارسين يُشبهونها بمجازر أصحاب الأخدود في التاريخ القديم؛ فتلك المذابح الفظيعة لم تعرف الإنسانية لها نظيراً قطّ، فيما شهدته من مذابح، وهمجيات ارتكبتها الجيش الفرنسي بوحشية خلال يوم واحد

هو ثامن مايو من سنة خمسٍ وأربعين وتسعمائة وألف؛ إنه يوم وياله من يوم حالك السّواد، ودامي اللّمع؛ حيث إنه لا يُمكن أن نتصوّر شعباً تعرّض للإبادة الجماعيّة، ودون مهورات يقتنع بها عاقل، ومتحصّر، وإنسان، أمام أنظار العالم المتعامي، والمتواطئ على الضّعفاء، وعلى مرأى من التّاريخ الخامل، كما تعرّض الشعب الجزائريّ للتّقتيل منذ اليوم الأوّل الذي وطئت فيه أقدام الاستعمار الفرنسي أرض الجزائر، وعبر فترات مُتلاحقة من التّقتيل، تخفّ، وتقلّ حيناً، لتعود فتتشرس وتتكاثر أحياناً أخرى؛ فقد بلغت الإبادة الجماعيّة، المتهمة، العنصرية أوجها في ثامن مايو 1945 . (مرتاض، 2003، ص 175). إن من أعظم العبر التي استخلصت من هذه المذبحة أن الفرقة السياسية ليس فيها أي خير لشعب جزائري يريد أن يتحرر من رقة الاستعمار الفرنسي، ويثور على سلطانه، ولذلك نجد جميع الأحزاب السياسية، والهيئات الوطنية المختلفة، تذوب كلها بعيد قيام ثورة التحرير الكبرى، وتتضوي تحت لواء حزب واحد: هو حزب جبهة التحرير الوطني، ما عدا مصالي الحاج الذي أبت طائفة من أتباعه الانضمام إلى صفوف الجبهة التي قادت الكفاح المسلح (مرتاض، 1983، ص، 30)، لقد نُفذت تلك المجزرة الفظيعة، تحت هذا الشعار: "lachasse a l'arabe"، والحقيقة أن هذا الشعار يكشف النقاب عن الظروف التي نفذت فيها مجازر 8 ماي 1945؛ حيث كانت فرنسا-في بداية الحرب العالمية الثانية- قد تلوّثت سمعتها، وتلطخت، ودُكّس رأسها، وأرغم أنفها، وأذلّ كبرياؤها، ومُرّغ شرفها؛ حيث إنها لم تصمد -حكومة، وجيشاً، وشعباً- أمام القوات الألمانية إلا يوماً أو بعض يوم، ففر جنودها، وأطلق ضباطها لأرجلهم العنان، وقد كانوا أسرع من الريح المرسلّة، وجنح الشعب الفرنسي إلى الاستسلام المهين دون إبداء أدنى مقاومة، كما احتلت عاصمتها في رمشة عين، ولمح بصر، ورفّة طرف، ولقد سعى الجنرال (دوغول) إلى استعادة بعض سمعة فرنسا، وعمل من أجل إحياء الشعور بالكرامة عند الفرنسيين، فلم يُلح إلا بعد مساعدة الأمريكيين، وقد جاءت مناسبة 8 ماي 1945؛ فاستغلها لإظهار فرنسا بمظهر الدولة العظمى، فأطلق العنان لجيشه المدمج

بأسلحة الإنجليز والأمريكان، حتى يستأسد على الشعب الجزائري الأعزل، وقد اعتبرت فرنسا ما ارتكبته من مجازر رد اعتبار للشرف الفرنسي الذي عبث به الألمان، وجعلوا فرنسا أضحوكة الأمم، وسخرية الشعوب، وأحدثة الزمان، وهل من الشرف الإنساني والعسكري أن تنفذ الطائرات الفرنسية 300 طلعة جوية في اليوم، ضد شعب لا يملك حتى بندق الصيد؟ وهل من الشرف الإنساني والعسكري أن تتحرك البوارج الحربية الفرنسية لتقصف الأكواخ، والقرى، والمداسر؟ (الحسني، 2004، ص، 266).

قراءة وصفية لبعض المذكرات والشهادات الخاصة بمجازر 8 ماي 1945 :

تجدر الإشارة في البدء إلى أن المذكرات هي عودة بالذاكرة إلى حدث معين، قد تكون ترددت أحداثه على كاتب المذكرات، ولكنه لم يشاهده بشكل مباشر أمام عينيه، أما الشهادة فالكاتب كان شاهداً على الحدث وشارك فيه، ورآه أمامه، ولقد شكّلت مجازر 8 ماي 1945، بالنسبة إلى جيل أبناء الجيل الذي فجر ثورة نوفمبر العظيمة، وخاض غمارها، نقطة تحوّل شامل على شتى الأصعدة؛ وإن ما حقّني على المضى قُدماً في خوض غمار هذا البحث أتني لم أعر على دراسات شاملة ومتميزة، قامت بتحليل الكتابات والدراسات التاريخية التي اختصت بمجازر 8 ماي 1945 البشعة؛ لذلك فقد بذلت الوسع في عرض وتحليل نماذج من الكتابات التاريخية التي ركزت على مجازر 8 ماي 1945، فموضوع هذا البحث هو "جذور ثورة نوفمبر 1954م في ميزان البحث-مجازر 8 ماي 1945 أنموذجاً- دراسة تحليلية في ضوء نماذج من الكتابات التاريخية-، وإني لسعيد بمعالجة هذا الموضوع الذي يكتسي أهمية استثنائية في المرحلة الراهنة، على هذه الصورة العامة الشاملة، التي ستنحى للباحثين من بعدي، أن يختصوا في عناصر محدّدة من هذه الدراسة الوصفية التحليلية، كما ستنحى لهم أن يهتدوا ببعض ما سلّطت عليه الضوء خلال بحثي هذا الذي وُكِّز على متابعة العديد من الدراسات والأبحاث والشهادات والمذكرات التي وقفت مع مجازر 8 ماي 1945، ولقد تناولت نخبة من الدراسات جملة من الإشكاليات التي ترتبط بمجازر 8 ماي 1945 بصفة

عامّة؛ بيد أنها تميّزت بالتفاوت في الجودة و الدقة والموضوعية العلمية والعمق، وما تجدر الإشارة إليه أن هذا الموضوع يتميّز بالخصوصية فهو ما يزال يستحق إنجاز الكثير من الدراسات؛ نظراً لتشعبه وحاجته إلى تقديم رؤى عميقة وتحليلات مستفيضة...، ومن الصعب أن نُقدم جميع البحوث التي أُنجزت عن مجازر الثامن ماي 1945، لذا سنقتصر على نماذج مُحددة من الدراسات والأبحاث المتميّزة، والحقيقة أن المقاربة التاريخية تفرض على الباحث أن يتوخى الدقة، وأن يتحلى بالرصانة والالتزان، ولا سيما عندما يتعمّق في ثنايا الأحداث والوقائع التاريخية الشائكة ؛ وذلك قصد الوصول إلى إنتاج علميٍّ مُجدٍّ وُمتمِّزٍ ورصين، ويستوفي بالأساس شروط البحث الأكاديمي الواكب للتطوّرات المعرفية والمنهجية التي وصلت إليها العلوم الإنسانية في الوقت الراهن، والتي يُمكّن شكلها فيها البحث التاريخي ركيزة رئيسة لها مكانتها في فهم واستيعاب الضوابط والآليات التي تحكم جدلية المجتمع والأمة، وذلك تحت لواء سياق عام تتداخل فيه التطوّرات العالمية، ولقد أصبحت المسؤولية مضاعفة على المؤرخ؛ الذي أُضحى مُطالباً بالنهوض بوظائف متعددة ومتشعبة وشائكة، حيث يُنتظر منه البحث عن أجوبة شافية لمتطلبات وتساؤلات المجتمع الثقافي والفكري والمعرفية.

1- مذكرات الشيخ محمد خير الدين:

لقد تعددت وتنوعت المذكرات والشهادات في وصف ذلك اليوم الدامي؛ ومن بين المذكرات التي ركزت على مجازر 8 ماي، مذكرات الشيخ محمد خير الدين، وهي المذكرات التي تنقسم إلى شقين، وقد سمها بـ: "مذكرات"، حيث توقف في الجزء الثاني منها مع ذلك اليوم البشع في تاريخ الجزائر، تحت عنوان: "حوادث 8 ماي 1945"، وقد استهل الشيخ محمد خير الدين الحديث عنها بالإشارة إلى أنه ليس من أهدافه من وراء تدبيح هذه المذكرات أن يكتب تاريخ الجزائر، وإنما الهدف هو الإدلاء بالشهادة فيما رأى أو شارك، وقد وصف الشيخ الحوادث التي عاشها بأنها متتابعة وعامرة بالأخبار والأحداث، وكانت بحق نقطة تحوّل في تاريخ الحركة الوطنية، ونقلها من طور إلى طور آخر، (خير الدين، 1981، ص، 19). وقد

انطلق الشيخ محمد خير الدين في وصف ما عاشه بالإشارة إلى أول ما سمعه عنها، كما تتجلى أهمية ما يذكره من خلال مذكراته في تأكيده على أنها كانت مدبرة ومخططة ومدرسة؛ إذ لا يدع مجالا إلى الشك بأنها كانت مخططة، من خلال استعماله لـ(لا ريب)، وشهادته هذه تؤكد ما ذهب إليه العديد من المؤرخين من أن مجازر 8 ماي 1945 كانت مؤامرة محبكة، حيث يقول: "وأول علمي بهذه الحوادث كان سابقاً لوقوعها بقليل، فقد أخبرني كما أخبر فرحات عباس، الدكتور سعدان بأنه كان في مكتب عامل عمالة قسنطينة يوم 25 أبريل 1945، وذلك للقيام ببعض الأعمال العادية التي تخص دائرته الانتخابية، وفي هذا اللقاء أخبره عامل العمالة (استراد كاريونال) بأن هناك أحداثاً خطيرة ستقع قريباً في الوطن، وستكون لها آثار وخيمة العواقب. ولا ريب أن هذه الحوادث كانت مخططة ومدرسة بصفة سرية لا تعرفها إلا دوائر الشرطة الاستعمارية؛ التي تعرف الكثير عن العاملين في الميدان الوطني من العلماء والسياسيين. وبدأت الحوادث تتوالى منذ صبيحة 7 ماي 1945، ففي اليوم نفسه انتظمت مظاهرة كبيرة سارت تجوب شوارع العاصمة الجزائرية، ودُطالب بإطلاق سراح رئيس حزب الشعب مصالي الحاج؛ الذي كان تحت الإقامة الجبرية، وعندما تصدت الشرطة للمتظاهرين للحيلولة دون مسيرتهم، ولم يستجب المتظاهرون لنداءات الشرطة وقع الصدام المسلح، وأطلقت الشرطة الرصاص على المتظاهرين فجرح بعضهم، واستشهد واحد من الشباب المتحمسين من عائلة بن الحفاف المعروفين بالجزائر، وبدأ الموقف يتفجر، وهذا ما دعا إلى ضرورة اجتماع الجبهة الوطنية، (خير الدين، 1981، ص، 19). ويذكر الشيخ خير الدين أنه بعد اجتماع الجبهة الوطنية على الساعة الرابعة من عصر ذلك اليوم بمقر حزب البيان بالعاصمة، والتي تشكلت من الشيخ البشير الإبراهيمي؛ رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والشيخ العربي التبسي، والشيخ محمد خير الدين، والأستاذ فرحات عباس، والأستاذ أحمد بومنجل من حزب البيان، والسيد أحمد مزغنة، والسيد حسين مقري، والسيد الحسين عسلة، من حزب الشعب، وبعد أن قام المجتمعون بدراسة الأوضاع المتدهورة

أصدروا بياناً اتسم بشدة لهجته، وقاموا بتكليف فرحات عباس، والدكتور سعدان بمقابلة الوالي العام بالجزائر، وإعلامه بنتائج الاجتماع الذي وقع فيه الاحتجاج على الحوادث التي وقعت يوم 7 ماي 1945، واستنكارهم لمواقف الشرطة من المتظاهرين، وفي صبيحة يوم 8 ماي توجهوا إلى الولاية، وطلبوا السماح بمقابلة الوالي العام، وبعد مكوثهما فترة في قاعة الانتظار وصل أعوان الشرطة وألقوا القبض عليهما، وانطلقوا بهما إلى المطار حيث حملتهما طائرة عسكرية إلى السجن العسكري في مدينة قسنطينة، وفي ذلك الوقت لم تكن لديهما معرفة بمجازر 8 ماي 1945، التي وقعت بسطيف، وشملت عمالة قسنطينة وبواديها. (خير الدين، 1981، ص، 20)، وقد وصف الشيخ خير الدين ما وقع في ذلك اليوم بالقول: "كان الجيش النظامي الفرنسي والمعمرون الفرنسيون المدنيون يقومون بحرب حقيقية يُطلقون النار، ويُخربون المنازل والمسلمون العزل يُدافعون بكل ما يملكون من العصي والحجارة. وتكتمت السلطة الفرنسية على الأمر، وقطعت خطوط المواصلات السلكية واللاسلكية، كي لا تتسرب أنباء حوادث القتل والتخريب القائمة في عمالة قسنطينة إلى عمالتي الجزائر ووهران" (خير الدين، 1981، ص، 20)، كما أشار الشيخ خير الدين إلى أنه كان من المقرر أن يجتمع أعضاء الجبهة الوطنية من العلماء والأحزاب الوطنية السياسية صباح 8 ماي على الساعة التاسعة بمقر حزب البيان بالعاصمة، وقد حضر الشيخ خير الدين والشيخ العربي التبسي، والشيخ البشير الإبراهيمي، ولكن قوات الشرطة الفرنسية ضربت حصاراً على مركز حزب البيان وعلى المجتمعين فيه من أعضاء الجبهة، وسدت الطرق المؤدية إليه، ثم دخلت قلة من الجند الفرنسي إلى مكان الاجتماع، وأجلسوا الحاضرين من الأعضاء صفّاً واحداً وأمروهم بعدم الحركة، ثم دخل اثنان من الشرطة العسكرية إلى مكتب الحزب لتفتيش الملفات والوثائق الموجودة فيه، وعن ردود الفعل على ما وقع من مجازر رهيبة يوم 8 ماي 1945 م، يذكر الشيخ خير الدين أن الشيخ البشير الإبراهيمي علّق بالقول إن معركة 8 ماي 1945 هذه ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الاستعداد للثورة

المسلحة لانتزاع هذه الحقوق المغصوبة، وقد تم اعتقاله فجر يوم 9 ماي 1945، كما تم اعتقال الشيخ خير الدين، والعربي التبسي، وحملوا إلى سجن الحراش، ثم تم تحويلهم إلى سجن وهران .

2- مذكرات الشيخ أحمد توفيق المدني: "حياة كفاح":

وقد وصف الشيخ أحمد توفيق المدني في الجزء الثاني من مذكراته: "حياة كفاح" يوم 8 ماي 1945، باليوم الرهيب؛ ووصف ذلك اليوم الذي كان شاهداً عليه، بالقول: " تجهزت وأخذت بطاقتي وامتنيت القطار يوم 7 ماي 1945 على الثامنة مساءً وكنت عندما أصبح الصباح أشعر كلما تقدم القطار نحو الشرق بحركة غير عادية في المحطات تزداد شدة وحدة، بين حين وآخر، حتى إذا وصلنا مدينة الخروب وغيرنا القطار وجدنا المحطة محتلة بمختلف فرق الجيش، وبينها طائفة من الشبان المتحمسين المتهيجين وهم يحملون ما تيسر لهم أن يحملوه من مختلف الأسلحة، وكانوا يصعدون إلى مزجيات الرتل ويُنزلون من بها من الجزائريين واحداً واحداً، في شدة وفي عنف، ورأيتهم تحت نافذتي يُفتشون بدوياً عربياً بكل احتقار، وقد وجدوا في قفته سكيناً صغيراً لقطع الخبز طبعاً، فانهالوا عليه ضرباً بالأيدي ورفساً بالأرجل، ثم أخذوه بقسوة إلى ما وراء القطار، وسمعت طلقات نارية وتأوهاً خافتاً وانتهى كل شيء (المدني، 1988، ص، 380)، وقد قدم الشيخ أحمد توفيق المدني في مذكراته إحاطة للقراء بتفاصيل دقيقة وقعت في ذلك اليوم المفزع؛ حيث كشف النقاب عن نظرة المستعمرين الفرنسيين لذلك اليوم، وما سبقه من أيام، حيث إن أعنف المظاهرات الوطنية الجزائرية التي خلّفت عشرات الآلاف من الضحايا؛ هي تلك التي ابتدأت في فاتح مايو من سنة 1945 بالجزائر العاصمة وسطيف، ثم تجددت في الثامن ماي من السنة نفسها، وقد رصد الشيخ المدني ما قاله أحد المستعمرين المتعطشين لدماء الجزائريين، إذ يقول: «...ثم ركب معنا أحد المستعمرين، وأخذ يقص علينا أنباء الصباح الرهيب بسطيف، وما حواليتها، وأن مذبحه شرسة اشتعلت بكامل الناحية، وأن الفرنسيين قد تمكنوا من ناصية

الحالة بعد التخلص من أكبر عدد من الأعداء (الجزائريين)، وأن البقية سيتم القضاء عليها لا محالة، حتى يعلم هؤلاء (البيكو الجزائريين) أن الجزائر فرنسية إلى الأبد (المدني، 1988، ص، 381)؛ يتضح من خلال كلام هذا المستعمر الفرنسي أن الهدف هو إبادة وقتل جميع الجزائريين خلال شهر ماي 1945، كما يُلقى كلامه الضوء على نظرتهم إلى الإنسان الجزائري الذي يصفونه بالبيكو بكل احتقار وازدراء، وهو صاحب الأرض، وهم الغزاة. وقد أدلى الشيخ أحمد توفيق المدني بشهادته على المجازر الرهيبة التي وقعت في قالمه، حيث إنه وصل إلى مدينة قالمه في اليوم نفسه الذي انطلقت فيه مجازر فرنسا البشعة، فنلفيه يقول: "ولم أكن أتوقع هذا أصلاً: إلى أن وصلنا إلى مدينة قالمه فكنا في حالة حرب حقيقية، كان الجيش وكان رجال الطابور المغربي المؤلف من وحوش آدميين من جنوب جبال الأطلس تجندهم فرنسا، وتطعمهم وتكسوهم وتُبيح لهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن؛ وتغدق عليهم الأموال من أجل أن يقتلوا عدوها، ويبيدوا خصومها، ويُغلقوا أفطع تتكيل بمن تأمرهم أن ينكلوا به... وكنا نسمع أصوات وصراخ استغاثة ممزوجة بأنين الألم يأتينا من ناحية المدينة، ومكث القطار هنالك نحواً من الساعتين؛ كنت أرى خلالها من شباك المزجية طائرات حربية صغيرة الحجم تطلق قنابلها المحرقة على طول الأفق. وكنت أرى أسنة اللهب تتصاعد إثر كل قنبلة، وكنت أسمع من بعيد أصوات الاستغاثة والبكاء والنحيب، وأرى من بعيد سائمة آدمية غفيرة العدد، تغدو وتروح، مفتشة عن ملجأ، فلم تجد ملجأ من الله إلا إليه، ومن نجا منهم رجلاً كان أو امرأة، إلا حصده بعد ذلك مسدسات وبنادق القناصة من الأوروبيين، كانت مذبة رهيبة فظيعة، لا أعتقد أنه وقع مثلاً في اتساع نطاقها ووفرة عدد ضحاياها في أي قطر من الأقطار. وعلمتُ فيما بعد أنه زيادة على الجيش والمتطوعين والطابور المغربي ورجال الاستعمار والمدافع والطائرات؛ قد اشتركت في المعركة السفينة الحربية (دوقاي تروان)، فكانت من البحر ترمي بنيرانها الجهات المتفق على خرابها ودمارها فلا تترك فيها رائحة لحياة. وقد أعدموا في مدينة قالمه كل الشبان الذين كانوا

يحملون الشهادة الابتدائية، وقد جمعوه في مكان فسيح، وأمروهم بحفر أخدود طويل، ثم أعدموهم بكل برودة، وتخلصوا من عدو محتمل، وهكذا، وخلال أربعة أيام تمكنوا من قتل 45 ألف جزائري وجزائرية، مقابل مائة ونيف من الأوروبيين، قتلهم من استطاع من الجزائريين انتقاماً (المدني، 1988، ص 381)، وقد أرجع الشيخ أحمد توفيق المدني الأسباب الحقيقية لهذه المذبحة الرهيبة إلى رغبة المستعمرين في التخلص من أكبر عدد ممكن من المسلمين، وضرب الحركة الوطنية الجزائرية ضربة موجعة لا تقوم لها من بعد قائمة، وقد أشار في شهادته إلى ما شاهده من مناظر مؤلمة جداً فيما بين قالمة والحد التونسي؛ تتمثل في جموع غفيرة من البدو، يهيمون على وجوههم، وكان أثرهم مثخناً بجراح، ملطخاً بدماء غزيرة، وكان بعض الرجال والنساء منبطحاً فوق أديم الأرض، لا يستطيع حراكاً، وقد نال منهم الجوع والظمأ، وأنهك قواهم ما سال من دمائهم، ولم يغفل الشيخ المدني عن الإشارة إلى ما نجم عن هذه المجازر؛ حيث تم اعتقال فرحات عباس، والشيخ البشير الإبراهيمي، وثلثة غفيرة من أنصار البيان، وأعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وألحقت بهم تهمة المؤامرة الكبرى، وقد كانوا يرغبون في إعدامهم لا محالة، بيد أن صيحات الاحتجاج والاستنكار الرفيعة والمدوية سواء بالجزائر، أو فرنسا قد حالت دون تنفيذ الحكم.

3- مذكرات الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي:

لقد ذهب الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في الجزء الأول من مذكراته، الموسومة بـ: "مذكرات جزائري الجزء الأول: أحلام ومحن (1932-1965) إلى أن مجازر 8 ماي 1945 شكلت بداية نهاية الأطروحات الاندماجية؛ حيث يتحدث عن هذا الأمر بلسان جيله، فيقول: "أما بالنسبة إلينا، نحن تلاميذ دار الحديث، وثانوية دي سلان، فإن مجازر 8 ماي 1945 دقت ناقوس نهاية الأطروحات الاندماجية (التي ابتذلت في نظرنا)، وأضاعت لنا الدرب، وهو أن الاستقلال آت لا محالة. وإذا كانت فرنسا تملك القدرة على القمع، فمن واجبنا أن نصمد وأن نقاوم. اعتقل والدي يوم 27 ماي 1945 بتهمة التحريض على هذه

المظاهرات. وبعد أن عانى عدة أشهر من الحبس الشاق في السجن العسكري بالجزائر العاصمة، نُقل إلى المستشفى العسكري في قسنطينة، قبل أن يُطلق سراحه في مارس 1946. إن حوادث ماي 1945 والمذابح التي راح ضحيتها آلاف الجزائريين جعلتني أدرك حقيقة القمع الاستعماري بكل حدته وبشاعته. ومنذ ذلك الوقت بدأت أهتم بالمشاكل السياسية المرتبطة بمستقبل بلدي. ليس فقط لأن والدي كان مسجوناً، ولكن لأن كلمات مثل الوطن، والاستقلال لم تعد مجرد كلمات، وإنما أصبحت تثير في نفسي كثيراً من الانفعال والتأثر ("الإبراهيمي، 2007، ص 381)، إن أقل الناس تجربة في قراءة الكتابات التاريخية قد يلاحظ، منذ الوهلة الأولى، بأن مجازر 8 ماي 1945 الرهيبة، من خلال هذه الشهادة المُدبَّجة من لدن الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، قد ارتبطت ببث الوعي، وتغيير الرؤى نحو الاستعمار الفرنسي، الذي اتضح أن الحلول السياسية غير ناجعة معه. فكان لا مناص لذلك الجيل الذي يُعبر الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي عنه من الالتفاف حول المطالب الوطنية الجزائرية المحقة، وفي مقدمتها الاستقلال والتحرر من رقة الاستعمار الفرنسي، وقد قَمَّ الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي في مذكراته إضاءة شاملة على الجهود التي سبقت مجازر 8 ماي 1945، حيث أشار إلى الإجابة التي قدمها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي سنة 1944، إلى اللجنة البرلمانية التي أرسلتها الحكومة الفرنسية إلى الجزائر؛ من أجل إعداد تقرير عن: "الإصلاحات الإسلامية في الجزائر"، والتي اتصلت بعدة شخصيات إسلامية جزائرية، من بينهم الشيخ محمد البشير الإبراهيمي؛ الذي اقترح إصلاحات في مجالات القضاء والتعليم والمساجد، كما تطرق إلى إصلاحات سياسية لخصها في خمس نقاط رئيسة، هي:

أولاً: إنشاء جنسية جزائرية تشمل جميع الطوائف التي تعيش في هذا الوطن؛ دون تمييز بين أصولهم وأديانهم، يتساوون بموجبها في الحقوق والواجبات.

ثانياً: استبدال جميع التشكيلات الاستعمارية بحكومة تُسمى: "الحكومة الجزائرية تكون مسؤولة أمام مجلس تشريعي جزائري (برلمان).

ثالثاً: إسناد الوظائف الإدارية لجميع الجزائريين على أساس الكفاءة الشخصية.

رابعاً: اعتبار اللغة العربية لغة رسمية في المعارف والإدارات بجانب اللغة الفرنسية.

خامساً: يحفظ لأهل كل دين حقهم في إقامة شعائر دينهم، وتصرفهم المطلق في معابدهم وأوقافهم بواسطة تشكيلات حرة يرتضونها لأنفسهم. (الإبراهيمي، 2007، ص: 39)، ويُنَبِّه الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي إلى أن جريمة 8 ماي 1945، ستظل واحدة من أكبر الجرائم؛ ففي الوقت الذي كان يحتفل فيه الحلفاء بـ8 ماي 1945، معتقدين أنهم تخلّصوا نهائياً من الفاشية والنازية، كأيديولوجيات قاهرة لإرادة الشعوب، وفي الوقت الذي أنجز فيه ميثاق الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو انضمت الجزائر إلى هذه الاحتفالات بتنظيم مظاهرات في شوارع سطيف وقالمة وخراطة وغيرها؛ لتُظهر للعالم أن الانتصار على النازية هو أيضاً انتصار لحق الشعوب في تقرير مصيرها، وبدل أن يتعامل الجيش الفرنسي مع هذه الفرحة العارمة بصفة إيجابية؛ ردّ على أهلها بلا رحمة، وبلا شفقة، وأزهق 45000 من الأرواح، وكان من بين الضحايا عائلات جنود جزائريين مجندين في الجيش الفرنسي شاركوا في تحرير فرنسا من النير النازي.

4- مذكرات الرئيس الأسبق المجاهد الشاذلي بن جديد:

استهل الرئيس الجزائري الأسبق المجاهد الشاذلي بن جديد في الجزء الأول من مذكراته، وصفه لذلك اليوم بالقول: "كنت في السادسة عشر من العمر حين اندلعت حوادث 8 ماي 1945، مرّ ذلك اليوم في بلدة (السبعة) كسائر الأيام، دون حدث يُذكر، ثم سرعان ما بلغتنا أخبار عن مظاهرات سلمية شهدتها مدينة عنابة، تمّوت برفع العلم الوطني لأول مرة، قوبلت بقمع البوليس الذي استعمل القوة لتفريقها. وبعد أيام انتشرت أخبار متضاربة ومقلقة أثارت غلياناً كبيراً في أرياف المنطقة وقراها. كان الكبار يتحدثون بألم وانكسار، في المقاهي

والأسواق الأسبوعية، عن مظاهرات جرت في عدة مدن من الشرق الجزائري، مثل: سطيف وخرطلة وقالمة، بمناسبة التوقيع على الهدنة، رفع الجزائريون خلالها شعارات منددة بالفاسية والاستعمار. لكن الشرطة الاستعمارية والمعمرين ردوا على تلك المظاهرات العفوية بإطلاق النار، دون تمييز، على جموع الجزائريين. وعلمنا فيما بعد أن المطاردات والتقتيل وعمليات التمشيط استمرت عدة أيام تحت قيادة الجنرال ديفال، وبمشاركة الليف الأجنبي والطابور المغربي والجنود السنغاليين، وسمعنا أيضاً بقصف الطيران والبحرية الفرنسيين للقرى والمداشر. (بن جديد، 2011، ص، 45)، ويعتبر المجاهد والرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد أن مجازر 8 ماي 1945 ؛ هي انتقام من قبل فرنسا لهزيمتها مع ألمانيا على أشلاء 45 ألف من الجزائريين، بيد أن ذلك القمع الوحشي رسّخ لدى الجزائريين فكرة ضرورة الكفاح المسلح من أجل التخلص من النظام الاستعماري الجائر؛ فطفق الشباب يبحثون عن سُلّى تحرير أوطانهم من الاستعمار الفرنسي، وكان من نتائج تلك المجازر البشعة احتكاك الأرياف بالعمل الحزبي، وتبني الشعارات الوطنية؛ حيث أضحت كلمة جهاد تلهب حماس الشباب من أجل طرد المحتل الغاصب لأرضهم، وأرض أجدادهم، وبسبب المذابح الفظيعة التي وقعت في ماي 1945، ستتحول كلمة "الله أكبر" إلى جذوة مفعمة للحماسة، وتتردد عند كل هجوم، نظراً لتلازم الإيمان بالشهادة بتحرير الأرض تلازماً لا ينفصم، لكن من دون شطط أو تطرف، (بن جديد، 2011م، ص، 46)، وقد سلط المجاهد والرئيس الأسبق الشاذلي بن جديد الأضواء على ما حدث بعد تلك المجازر؛ إذ شرعت سلطات الاستعمار الفرنسي في مصادرة محاصيل عائلات الفلاحين الفقيرة، وتزامن ذلك مع هلاك المحاصيل في الأرياف، وما ترتب عنه من نزوح جماعي للفلاحين نحو المدن بحثاً عن عمل، أو لقمة عيش، ولم تسلم من ذلك المصير الحزين حتى العائلات المالكة، ومن بينها عائلة بن جديد في منطقة السبعة، ويرى المجاهد الشاذلي بن جديد أن من بين نتائج تلك المجازر ما وقع بعد عام؛ حيث أنشأ فرحات عباس الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وقد حاول هذا الحزب

استخلاص الدروس من تلك المذابح الأليمة، وأصبح يطرح شعارات تتسم بالواقعية، وتطالب بالإصلاح وبناء دولة قوية وعادلة تحت راية الديمقراطية الفرنسية، وقد استقطب حزب فرحات عباس في مدن سهل عنابة ملاك الأراضي وممثلي البرجوازية الصغيرة والموظفين، وأصحاب المهن الحرة.

5- مذكرات المجاهد عمر بوداود:

يذكر المجاهد عمر بوداود؛ الذي رأس فيدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، لدى حديثه عن مجازر 8 ماي 1945م، في مذكراته المعنونة بـ: «خمس سنوات على أرس فيدرالية فرنسا من حزب الشعب إلى جبهة التحرير الوطني-مذكرات مناضل-»، أن بوادر الحرارة الزائدة كانت تبدو في منطقة القبائل، وهذا ما دفع آيت حليت؛ مسؤول دائرة تيزي وزو أثناء اجتماع اللجنة المركزية للحزب في الجزائر، إلى أن يطلب استثناء بلاد القبائل من المشاركة في الاستعراض المبرمج؛ كونه كان يحس بأن في الجو استفزازاً مرتقباً، وقد تمت الموافقة على مقترحه، وهكذا من 1 إلى غاية 8 ماي، لم تعرف المنطقة أية مسيرة أو اجتماع، وقد وقع الانفجار يوم: 8 ماي 1945م في سطيف، حيث تظاهر الجزائريون احتفاء بانتهاء الحرب العالمية؛ إذ كانت الفرصة مواتية لرفع العلم الجزائري، كما كانت الفرصة مناسبة بالنسبة للمعمرين وللجيش الفرنسي وللشرطة الفرنسية للقيام بعمل قمعي دموي، فقد تعرض السكان المدنيون طوال شهر كامل إلى عملية تتكيل بشعة ساهمت فيها قوات الطيران والبحرية الفرنسية، حيث قصفت القرى بطرائق بشعة، (بوداود، 2007، ص، 33)، ومن بين ما ركز عليه المجاهد عمر بوداود في مذكراته؛ لدى حديثه عن مجازر 8 ماي أن البحرية الفرنسية تركت اسم سفنها مسجلة في تاريخ الجزائر؛ فقد تحدث الناس عن مساهمة السفن الكبيرة (جوان بارت)، و(دوقياي تروين)، وذلك من خلال ارتكاب جرائم بشعة بقصفها القرى الساحلية؛ في حين أن الطيران الفرنسي - وكان وزير الجو الفرنسي وقتها الشيوعي (شارلي تيلون) - قام بإفراغ وابل من النيران في المداشر البائسة في عمق الجزائر، وقد صرح الجنرال

(دوفال)؛ قائد الجيش الفرنسي، الذي نهض بمهمة قمع الحركة للسلطات الاستعمارية، بالقول: "لقد ضمنت لكم السلم لمدة عشر سنوات"، وقد امتدت هذه المذابح إلى مختلف المناطق المجاورة للشرق القسنطيني، وتواصلت لتمتد إلى كل من سكيكدة وقالمة وخراطة، حيث تم تسجيل عشرات الآلاف من الشهداء؛ فبينما أعلنت سلطات الاحتلال الفرنسي عن عشرة آلاف، أحصى حزب الشعب الجزائري من جهته ما يزيد عن خمسة وأربعين ألف شهيد، (بوداود، 2007، ص، 34).

6- مذكرات الشيخ المجاهد عبد الحفيظ أمقران الحسني:

تحدث الشيخ المجاهد عبد الحفيظ أمقران الحسني؛ الذي كاد أن يذهب ضحية مجازر 8 ماي 1945، في مذكراته الموسومة بـ: "مذكرات من مسيرة النضال والجهاد"، عن ما شاهده في ذلك اليوم الرهيب، وقد كان عضواً في حركة أحباب البيان والحرية؛ التي انتمى إليها سنة: 1944، حيث يقول: "... وفي سنة: 1942 انتقلتُ إلى مدينة سطيف - وانعكاسات الحرب العالمية الثانية على أشدها - لمواصلة الدراسة في المستوى الثانوي على مجموعة من العلماء كانوا من تلامذة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وتحت إشراف جمعية محلية... كنا نتلقى هذه الدروس في مختلف الشعب العلمية، وفي ظروف مادية صعبة، وكان عدد الطلبة يتراوح بين خمسين وستين طالباً، من سنة: 1942 إلى سنة: 1945؛ وهي السنة التي توقف فيها هذا التعليم الحر، وتم حلُّ الجمعية المحلية بسبب أحداث 8 ماي 1945، التي انطلقت من مدينة سطيف، وتحولت إلى مجازر وضحايا قام بارتكابها الاستعمار الفرنسي في نواحي سطيف وخراطة وقالمة وبوقاعة وسوق الاثنين، وأسفرت هذه المؤامرة عن خمسة وأربعين ألف ضحية، وتدمير ما يقرب من خمسين قرية بواسطة سلاح المدفعية والطيران، بالإضافة إلى محاكمات لمئات المواطنين، ونفي وسجن للعشرات من المناضلين والعلماء، ورجال السياسة في الحركة الوطنية "(أمقران، 2010، ص، 20)، كما سرد الشيخ المجاهد عبد الحفيظ أمقران الحسني، ما شاهده خلال ذلك اليوم الرهيب؛ فقد

انطلقت الشرارة الأولى عندما انطلقت المظاهرة الشعبية السلمية في مسجد المحطة، الذي كان يتلقى الدروس في رحابه خلال عدة سنوات، وقد كان الهدف من هذه المظاهرة الشعبية السلمية التعبير عن مطالب الشعب الجزائري، وحقه في تقرير المصير شأنه في ذلك شأن جميع الشعوب، وذلك تطبيقاً للميثاق الأطلسي، ووعود الحلفاء بعد تغلبهم على قوات النازية والفاشية، فوقفت قوات الاحتلال الفرنسي بالمرصاد لتلك المظاهرات، وأطلق الرصاص بعشوائية على جميع المواطنين دون تمييز، وكان أول شهيد في هذه المجزرة الرهيبة هو الشاب بوزيد سعال؛ عضو الكشافة الجزائرية.

7- مذكرات المجاهد حمود شايد:

تحت عنوان: "بعض جوانب القمع الاستعماري"، توقف المجاهد حمود شايد في مذكراته الموسومة بـ: "دون حقد ولا تعصب صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة"، مع مجازر 8 ماي 1945، ومن بين ما جاء في وصفه لشهر ماي 1945: "انتهت الحرب وانتهى العذاب الذي دام 6 سنوات، أدى الشعب الجزائري أثنائها، مجبراً ثمناً غالياً، أداه في البداية في بلده بواسطة القنابل والمجاعة؛ بسبب إرسال المنتوجات الفلاحية الجزائرية القليلة نحو فرنسا وإلى جيش المحور. ثم أداه بعدد أبنائه الذين شاركوا في هذه الحرب، وكثير منهم سقطوا في ميادين القتال (يبدو أن الفضل في احتلال جبل مونت كريستو يعود إلى جنود شمال إفريقيا). لما عاد الأحياء منهم، سواء كانوا سالمين أو معطوبين، إلى ديارهم وجدوا قراهم محترقة، وأسره في حالة يرثى لها جزاء على ما قاموا به من توضحيات، فعلى سبيل المثال يوم 16 ماي 1945؛ نزل بالجزائر الفيلق السابع للرملة الجزائريين، بعدما أضع نصف جنوده في جبهة الألّزاس، وقد كان معظم جنود هذا الفيلق من سطيف (شايد، 2010، ص، 37)، وقد سرد المجاهد حمود شايد ما وقع في 8 ماي 1945، حيث يقول عن ذلك اليوم الفظيع: "خرج يوم 8 ماي 1945 سكان مدن الشرق، مثل: قالمة، وسطيف، وخراطة، على غرار السكان الأوروبيين في مظاهرات ليُعبّروا عن فرحتهم وطموحهم إلى

الحق في الحياة؛ فاصطدموا بقمع مريع، لقد أعدم 45000 جزائرياً بين 8 و16 ماي 1945. الإدارة الاستعمارية التي لم تعترف إلا بألف وخمسمائة وأربعين قتيلاً، تذرعت بأنها قامت بقمع تمرد مسلّح، تمرد كان يحمل فيه المتظاهرون بعض العصي وبعض السكاكين..." (شايّد، 2010، ص37)، وقد روى المجاهد حمود شايد جملة من المجازر والأحداث التي وقعت في ذلك اليوم الحزين، ومن بين ما ذكره أن السيد يزيد بن عيسى حكى له ما شاهدته من هذه المأساة في مدينة قالمة، عن شاب جزائري كان مثقفاً ومتزوجاً وأباً لطفلين، وقد كان في ذلك الوقت يهتم بالسياسة، وأثناء تلك الحوادث أخذته الجنود مع أبيه وعمه، ومنذ ذلك الوقت انقطعت الأخبار عنهم، أما الشاب المثقف فقد وجد محبوساً في محل مع عدد كبير من الناس؛ حيث قضى أربعة أيام ينتظر مصيره، وهو في حالة ذعر، وقد كان جنود الاحتلال الفرنسي يأتون من حين إلى آخر، فيأخذوا مجموعة من المواطنين المحبوسين، ويقومون بإعدامهم فيسمع هو من الداخل أصوات الطلقات النارية، ولم يتمكن من النجاة من هذه المجزرة الرهيبة إلا بعد تدخل نفس طيبة، ويعتقد المجاهد حمود شايد أن هذه المجازر، والأحداث التي وقعت ما بين: 1939 - 1945 قد ساعدت الشعب الجزائري على فتح عينيه أكثر من قبل، وعلى التشدد في المطالب، ويذهب إلى أن الجزائري لشدة تأثره بالحركات الوطنية، وبمختلف أوجه الحرب أصبح كالإنسان الذي يخرج من نوم عميق، ويتحرر من الهيمنة التي تشلّه لذلك، وبعد فترة كسر كل القيود وتحرر من كل المحظورات، وأدرك حقيقة وضعيته، وعندما شعرت الإدارة الاستعمارية بهذا التطور الذي رأت فيه قنبلة ذات مفعول متأخر قد تنفجر في لحظة، أسرعت إلى تقادي الخطر بعملية ساحقة، فكسرت في حمام من الدم الانطلاقة الوطنية، وانتهزت فرصة مظاهرات 8 ماي في سطيف، ومأساة 8 ماي، كانت كبيرة جداً، ومن بين ذكرياته التي استرجعها خلال ذلك اليوم: "أتذكر أن موكباً من الجزائريين، أسبوعاً من قبل في الجزائر، وبمناسبة الاحتفال بيوم العمل، كان يصيح أثناء المسيرة: حرروا مصالي، حرروا المعتقلين، تحيا الجزائر، أوقف عند حاجز من الشرطة

والجنود على مستوى الأروقة الجزائرية، منذ الطلقات الأولى صوب الجمهور سقط سبعة قتلى و13 جريحاً. لم يكن المتظاهرون يتوقعون هذا الرد غير المبرر، بل كانوا ربما يظنون أن البنادق المصوبة نحوهم كانت محملة بكراتيش بيضاء" (شايد، 2010، ص، 40).

8-مذكرات المجاهد رشيد أجعود:

ربط المجاهد رشيد أجعود في مذكراته التي جاءت بعنوان: "الشاهد الأخير" بين مجازر 8 ماي 1945، وبداية العهد الجديد، حيث عنون الفصل الثاني من مذكراته بـ: "أحداث الثامن ماي 1945 تفتح عهداً جديداً للحركة الوطنية"، ومن بين ما كتبه في مذكراته أن الفرنسيين يغتالون الآمال الجزائرية؛ فقد شكّلت نهاية الحرب العالمية الثانية في حقيقتها بداية عهد جديد في تاريخ العلاقات بين الجزائريين والفرنسيين، وبدا جلياً أن لا شيء سيكون مثملاً كان من قبل، ولا سيما بعد مجازر سطيف، وخراطة، وقالمة؛ فقد استيقظ الوعي في ضمائر الجزائريين، وعزموا على تحقيق مطالبهم الوطنية التي نادى بها مصالي الحاج، وفرحات عباس، وغيرهما من قبل مثل: الشيخ عبد الحميد بن باديس، بل إن تلك المطالب راحت تزداد راديكالية، وقد عرفت تلك الفترة انتشار الأخبار المروعة عن المجازر البشعة المرتكبة في حق المواطنين الجزائريين، وقد تولّد إحساس مأساوي عميق في صفوف السكان، ومن أجل تخليد هذه الذكرى الأليمة (مجازر 8 ماي 1945)؛ ظهرت أغنية شعبية قبائلية، وانتشرت انتشار النار في الهشيم، وراح الناس يرددونها في سرية تامة في البدء، ثم سرعان ما ذاع صيتها، وقد اتسمت هذه الأغنية بصراحتها؛ إذ تُشير صراحة إلى المُتسببين في المجازر، ومن بين ما جاء فيها: الواقعة التي حدثت في سطيف سالت الدماء فيها كالأنهار (أجعود، 2012، ص، 44)، ويذهب المجاهد رشيد أجعود إلى أنه من الواضح أن الأحداث بدأت تتسارع؛ فقد كانت تلك المجازر سبباً مباشراً في دفع الأحزاب الوطنية إلى التعبير عن مواقف جديدة أكثر جذرية وراديكالية تُجاه الاستعمار، ومن جهتهم راح المعمرين يزدادون تبجحاً ونزقاً، وكأنهم أحسوا بمزيد من القوة بعد هزيمة النازية على أيدي الحلفاء، ولم يكونوا

مستعدين إطلاقاً إلى أي تنازل يُذكر بعد الجرائم البشعة التي ارتكبوها في سطيف، وهذا على الرغم من أن المستقبل القريب كان يُنذر بقدوم عاصفة هوجاء، وعلى المستوى الوطني؛ كانت أسماء مصالي الحاج، وفرحات عباس، وبن جلون، وابن باديس أشهر من نار على علم، كانت الألسنة تلهج بذكرها في شتى الأماكن، وقد قدم المجاهد رشيد أجعود عدة أمثلة عن مجابهة الحركة الوطنية الجزائرية بشراسة كبيرة بعد مجازر 8 ماي 1945م، ومن بين الأمثلة التي قدمها ما شاهده هو في المنطقة التي عاش فيها في بجاية، حيث نلفيه يقول: "في تلك الأثناء اشتهر في بجاية بل وفي كل وادي الصومام، وكيل نيابة يدعى (صال)، وكان معروفاً بشراسته وقسوته وبكثافة الشبكة الاستخباراتية التي قام بتشكيلها عبر كافة المناطق. بما في ذلك القرى النائية، والويل كل الويل لمن يقع في براثنه، إن التعذيب الوحشي هو أدنى ما ينتظر المسجونين. ولم تكن بلدية الصدوق لتشكل استثناءً؛ فقد تمكن صال من مد شبكة العملاء والمخبرين إليها، تدعمها في ذلك سرية الدرك المراقبة عند أسفل شارع الشهداء السبعة، وهي تسهر بحرص شديد على حماية المنظومة الكولونيالية، وكم من مرة تعرض المناضلون إلى الأسر دون وجود تهمة أو سبب..." (أجعود، 2012، ص، 46).

9-مذكرات المجاهد مسعود بن الشيخ، المدعو (سي بشير):

تحدث المجاهد (مسعود بن الشيخ) في مذكراته الموسومة بـ: "أوراق من الذاكرة"، والصادرة عن المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر عن مجازر 8 ماي 1945؛ فقد كان شاهداً على تلك المذابح الفظيعة، حيث يصف سنة: 1945 بشرة الوعي الوطني التي تشتعل، حيث يقول تحت هذا العنوان: "إذا كانت سنة 1925 هي سنة ميلادي البيولوجي؛ فإن سنة: 1945، وبالضبط أحداث 08 ماي 1945، وما أعقبها من مجازر وحشية هي سنة ميلادي النضالي، كانت هذه السنة (1945) تاريخاً فاصلاً بالنسبة لجيلي، وبالنسبة لتطور أساليب النضال السياسي عند فصائل الحركة الوطنية، وكذلك بالنسبة لتجذر مشاعر

الكرهية في نفوس غالبية الجزائريين للمحتل الفرنسي، وكل رموزه العسكرية والإدارية، وتتامي الرغبة في إحداث القطيعة النهائية، وفك كل أشكال الارتباط مع فرنسا، ولفهم شدة القمع ووحشية التقتيل الذين واجهت بهما قوات الاحتلال الفرنسي المظاهرات السلمية التي نظمها الجزائريون في 8 ماي 1945 احتفالاً بنهاية الحرب العالمية الثانية؛ يجب أن نتذكر أن الحركة الوطنية الجزائرية كانت قد بلغت قمة النضج السياسي بتوحيد جهود قادتها في مطالب مشتركة، تُعبّر عن مطالب كل فئات الشعب الجزائري الطامح للحرية وتقرير المصير، وبذلك فقد تجلت تلك المطالب في إصدار البيان الجزائري الذي صدر في شهر فيفري 1943، وكان من أهم محرري البيان الزعيم فرحات عباس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، والدكتور لمين دباغين، وقُدِّم لقوات الحلفاء الذين نزلوا في شمال إفريقيا في شهر نوفمبر 1942م، لمنع قوات ألمانيا النازية من السيطرة على هذه المنطقة في الحرب العالمية الثانية". (بن الشيخ، 2011، ص، 39)، وقد تحدث المجاهد (مسعود بن الشيخ) عن أهم مطالب البيان الجزائري، والمتمثلة في إدانة الاستعمار والقضاء عليه، وتجريم دمج شعب لشعب آخر بالقوة، وتطبيق مبدأ حق تقرير المصير للجزائريين، ومنح الجزائر دستوراً خاصاً بها، ويُفصّل المجاهد (مسعود بن الشيخ) في ظروف مجازر 8 ماي 1945، فيقول: "والمعروف أن فرنسا كانت قد انهزمت أمام ألمانيا النازية في بداية الحرب، وسقطت عاصمتها باريس أمام الزحف الألماني في 1940م، ورغم أن الكثير من الجزائريين قد ساهموا في الدفاع عن فرنسا وتحريرها من الاحتلال النازي؛ إلا أنها رأت في مظاهرات الجزائريين في 8 ماي 1945 تحدياً لهيبتها، وامتحاناً لقوتها، ولهذا صرح الجنرال كاترو الذي عيّن حاكماً للجزائر، خلفاً للوالي العام بيرتون الذي وافق على مطالب جماعة البيان دون استشارة مسؤوليه؛ مما أدى بالجنرال ديغول إلى عزله وتعويضه بالحاكم العسكري كاترو، الذي أمر بالقضاء على مظاهرات 8 ماي 1945، التي وصفها بالعاصفة، أما الجنرال ديغول فقد رفض البيان الجزائري، ورفض التفاوض مع زعماء الحركة الوطنية، وأكد

رأيه الاستعماري التقليدي القائل بأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا، وقد تمخضت هذه المجازر الفرنسية الدموية الرهيبة في 8 ماي 1945 عن سقوط ما لا يقل عن 45 ألف شهيد". (بن الشيخ، 2011، ص، 40)، وقد روى المجاهد (مسعود بن الشيخ) ما شاهده في ذلك اليوم الرهيب، حيث يقول: "بدأت أحداث المأساة التي أدمت أرض الجزائر في مساء الثامن ماي 1945، بعودة بعض أهالي بني عزيز من مظاهرات سطيف، وحديثهم عن المجزرة التي وقعت لإخوانهم في سطيف، وحصدت أرواح آلاف المتظاهرين في ذلك اليوم الأسود، اجتمع عدد من سكان دائرة بني عزيز صبيحة التاسع ماي، وقاموا بتنفيذ أعمال انتقامية من الكولون، وحراس الغابات، فتم القضاء على اثنين من حراس الغابات في منطقة جبل سيدي صالح، وقتل المعمر بازيل في مدينة بني عزيز، أما في منطقة فرجوة موطن أخوالي الحوارشة فتم القضاء على اثنين من حراس الغابات لجبال الحلفة، وفي 11 ماي 1945 وصلت وحدات كبيرة من الجيش الفرنسي إلى مدينة بني عزيز، والمناطق المجاورة لها، وكانت قوات الجيش الفرنسي تتشكل من ضباط فرنسيين، ومن مرتزقة الليفي الأجنبي" (بن الشيخ، 2011، ص، 40)

10- مذكرات أخرى:

ومن بين مذكرات المجاهدين والمناضلين؛ التي أشارت إلى مجازر 8 ماي 1945، نذكر:

أ - مذكرات عبد الرحمن بلعقون، المعنونة بـ: " من وراء القضبان"، وقد قدم لمحات عن تلك المجازر، ولم يسهب في التفاصيل، نظراً لأنها أشهر من نار على علم كما يرى، ولكنه فصل في انعكاساتها، وتأثيرها على المناضلين الجزائريين، حيث نلفيه، يقول: "... وما حوادث الثامن من ماي (أيار) 1945، بمجهولة لدى كل جزائري، وخاصة تلك الناحية (قائلة)، وناحية سطيف حتى يأمن شر هذه العصابة الاستعمارية المجرمة؛ تلك الحوادث التي أزهرت فيها أرواح خمسة وأربعين ألف نسمة في ظرف ثلاثة أيام... وقد كان قائد الفئة

ماسكاً بجهاز الإرسال يخبر-في ظن السامعين- القيادة التي ستسلمنا إلى الإعدام دون محاكمة كما وقع في حوادث الثامن من ماي (أيار) 1945". (بلعقون، 1987، ص، 66).

ب-مذكرات آن ماي لوانشي، الموسومة بـ: "مسيرة مناضل جزائري"، وقد جاء فيها: "وأخيراً انتهت الحرب العالمية الثانية، ففي هذا الجو المشحون بالتوتر الأقصى فكّروا إعداد مظاهرات شعبية صاخبة ليوم أول ماي 1945، إن شعارات تطالب بالاستقلال ورفع الأعلام الجزائرية أحدثت اضطهاداً عنيفاً من طرف الشرطة، وتسييت في مقتل بعض المتظاهرين، وستُنظم مسيرات يشترك فيها مناضلون وشبان كشافة رغم أن كل ذلك من أجل الاحتفال بهدنة يوم 8 ماي 1945، وثم تحوّلت في شرق البلاد، تحت ضغط الحرس الوطني (مليشيات)، والمعمرين، والشرطة إلى مجزرة. وبلغ القمع درجة من الشناعة لم يبلغها منذ بداية القرن بسطيف، وقالمة، وخراطة، وهيليوبوليس...، وقصد تخفيف الضغط على مناطق الشرق-الشمالي للبلد؛ أمرت قيادة حزب الشعب الجزائري بإرسال أمر بالثورة العامة لئلاّ ذلك سيُمكن من بعثرة القوّات العميقة، وتحدّد تاريخ تلك الثورة بيوم 23 ماي 1945؛ ولسوء الحظ وصلت بعض التسريبات إلى الشرطة... يبقى شهر ماي 1945 تاريخاً مهماً بالنسبة إلى الكثير من شبان تلك الفترة، لما قررت قيادة حزب الشعب الثورة العامة يوم 23 ماي، وقد قمنا بإعدادها، وتكفّى الشباب بالحركة، ولأسباب ما زالت غامضة جاء الأمر المعاكس..." (لوانشي، 2011، ص، 40).

ج-مذكرات بيار وكلودين شولي، المعنونة بـ: "اخترنا الجزائر صوتان وذاكرة"، وقد جاء فيها: "في ربيع 1945 كانت الحرب على وشك الانتهاء، وفي 8 ماي 1945 كان النصر؛ في شوارع الجزائر عرّ السكان الأوروبيون عن الفرحة الوطنية، حضرت تجمعاً أمام البريد المركزي، في الوقت الذي تم فيه وضع أكاليل ورد على نصب الأموات، ولم يكن هناك شيء آخر، في بداية ماي حصلت مسيرات لعمال جزائريين لم تصل وسط المدينة، وقد شاهدناهم مطاردين ومفرقين في الأزقة القريبة من شارع مانج من طرف الشرطة

والجندرمة (الدرك)، ثم في الأيام التالية علمت أنه كان هناك أعمال شغب بسطيف؛ وبالمنطقة القسنطينية عمل بعض الكُتّاب على التقليل من شأنها، في حين ضخمها آخرون ليُطالبوا بقمع أكبر ضد فرحات عباس، ومصالي الحاج، ومع ذلك لم تكن لي معرفة دقيقة بالذي حصل سوى أن هناك أموات. وألاحظ كل يوم أعمدة بيضاء في الصحافة نتيجة تدخل الرقابة لحظة الطبع. ولم يكن إلا فيما بعد في الكلية حين علمت بما جرى خلال شهر ماي 1945 في الجزائر؛ مظاهرات الوطنيين الجزائريين في أغلب مدن الجزائر، والقمع الجماعي الذي وقع على الخصوص في سطيف وخرطلة وقالمة (شولي، 2013، ص، 67).

قراءة نقدية للمذكرات والشهادات:

إن هذه الشهادات والمذكرات تُقدم خدمة ثمينة للمؤرخين والدارسين والمهتمين بالتاريخ الجزائري المعاصر، وهي تستحق الإشادة والتتويه، وقد اتسمت بالتوازن والدقة والمنهجية، وتُقدم خدمات جليلة للباحثين الأكاديميين؛ الذين يسعون إلى فهم الأحداث التي شابت يوم: 8 ماي 1945، كونها أضاءت على جوانب خفية لم تكن لتُعرف لولا هذه الشهادات والمذكرات، ولذلك فهي تمثل إضافة رصينة وثرية جداً للتاريخ الجزائري الحديث، وقد لعبت هذه المذكرات والشهادات دوراً كبيراً وامتزاً في بناء الحقيقة التاريخية.

خاتمة:

لقد تعددت وتنوّعت الدراسات والأبحاث المنجزة عن مجازر 8 ماي 1945، غير أن الإجماع يقع على أنها زلزلت الشعب الجزائري، وأيقظته، وبيّنت له بوضوح أن الوسائل السياسية، والسلمية غير مجدية، وليست نافعة؛ إذ يُجمع الدارسون على أن تلك المذابح الفظيعة شكّلت نقطة تحوّل حاسم في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية؛ التي اقتنعت أكثر من أي وقت مضى بأنه مما لا يُخامر أدنى شك أن مشروع طريق استقلال الجزائر لا يُمكن أن يتحقق إلا عن طريق الكفاح المسلح؛ مما جعلها تتخلى على طرائق الحصول على الحرية بالوسائل السياسية؛ التي كانت تتبناها بعض الأحزاب، والتي يبدو أنها كانت مقتنعة بأن

الاستقلال قد يتحقق من خلال الوسائل السلمية، وقد وجدنا دراسة المناضل (محمد قنانش) الموسومة بـ: "المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945"، تُرجع جذور الثورة إلى ما قبل تلك المجازر؛ حيث ذهب في هذه الدراسة إلى أن أول نوفمبر 1954، وُلد عام 1936، وبلغ سن الرشد عام 1945، وأصبح سيد نفسه عام 1954، كما ركزت عدة دراسات على مواقف الأحزاب؛ ولاسيما منها موقف الحزب الشيوعي الجزائري، الذي ألفينا قراءات كثيرة تُوجه له عتاباً قاسياً، كما وجدنا دراسات كثيرة تُرجع التنظيم والتسيير والتتظير إلى حزب الشعب الجزائري، وبعضها يجعله حكراً على أحباب البيان والحرية، بيد أن نسبة كبيرة من الدراسات المنجزة؛ أرجعت الأدوار الحاسمة في تنظيم مظاهرات 8 ماي 1945، إلى حزب الشعب الجزائري وأحباب البيان على القدر نفسه، كما تعددت وتباينت المصادر المعتمدة في شتى الأبحاث والدراسات المنجزة؛ فدراسة (رضوان عيناو ثابت) -على سبيل المثال - تموّت بتنويع مصادرها ومراجعتها؛ مما جعلها غنيّة ودسمة، ومزوّدة بروايات شفوية، ومراجع مكتوبة، وبالنسبة إلى الدراسات التاريخية التي عالجت الأسباب الحقيقية لمجازر 8 ماي 1945؛ فهناك من يُرجعها إلى الأنشطة التي بدأت خلال عام 1943، وانتهت بهذه المجازر؛ فالفترة من 1943 إلى 1945 عرفت منعرجاً حاسماً، وكبيراً فتح الطرق للنهوض بالثورة التحريرية المضفرة، واسترجاع السيادة الوطنية، وقد توسعت دراسات كثيرة في الوقائع التي سبقت المجازر، ومن بين الأحداث التي سبقت مجازر 8 ماي 1945، وتمّ التركيز عليها بشكل كبير في أبحاث عديدة؛ أنه في يوم 10 فبراير 1943 وقّع عدد من النواب والشخصيات على وثيقة معروفة بكلمة البيان حرّرها فرحات عباس، وركزت على الاعتراف بالسيادة الوطنية الجزائرية، وتكوين حكومة جزائرية تتولى شؤون البلاد، وفي يوم 31 مارس 1943 قدّمت هذه الوثيقة (البيان) إلى سلطات الاحتلال الفرنسي، وإلى الحلفاء المتواجدين في الجزائر، وفي يوم 26 جوان 1943 أضيف إلى البيان برنامج سياسي، وفي شهر أغسطس-أوت 1943 شرعت سلطات الاحتلال الفرنسي في تدبير المكائد من

أجل فك وحدة الموقعين على البيان، وقد انتهت جهودها بتراجع عدد كبير من الموقعين، كما تمّ سجن فرحات عباس، والسايح، وفي يوم 7 مارس 1944 ألقى ديغول خطابه المعروف الذي أكد فيه على فرنسة الجزائر، وفي يوم 14 مارس 1944 تكوّنت بزعامة فرحات عباس حركة سميت: "أحباب البيان والحرية لمناصرة مطالب البيان"، وقد ضمت أعضاء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحزب الشعب الجزائري، كما أشار إلى هذا الأمر العديد من الباحثين، ومن بينهم الباحث (زهير إحدادن)؛ الذي لخص أبرز الأحداث التي سبقت مجازر 8 ماي 1945 في ملاحظتين: الدور الأساسي المهم الذي نهض به فرحات عباس في تأسيس هذه الحركة، ولا ريب في أنه في هذه السنوات القليلة كان الشخصية البارزة التي أسهمت بفعالية في تنشيط هذه الحركة سواء من ناحية تأسيسها، أو الدفاع عنها، والسهر عليها، والجدير بالملاحظة أنه بذل جهداً كبيراً طيلة سنة كاملة قبل تأسيس الحركة، وأنه في هذه الفترة اعتقل لمدة ثلاثة أشهر قبل أن يلقي عليه القبض مع رفقاءه بعد مجازر 8 ماي 1945، ويجب التنبيه إلى أنه قد مضت فترة تزيد سنة كاملة ما بين موافقة النواب، وعدد من النخبة على ما سمي (البيان)، وهو 10 فبراير 1943، وبين تاريخ تأسيس حركة أحباب البيان، وهو 14 مارس 1944، وفي هذه الفترة نرى فرحات عباس يصمد أمام مناورات الإدارة الاستعمارية، وأمام خيانة النواب، ورغم الاعتقال فإنه يواصل نضاله بكل إخلاص في كفاحه من أجل (الوطن الجزائري)، ومما لا يشوبه أدنى شك أن هذه الفترة شكلت تحوّلاً كبيراً في حياته السياسية، وفي شعوره الوطني، أما الملاحظة الثانية فهي تختص بالدور المتميز الذي اضطلع به حزب الشعب الجزائري في إنجاح هذه الحركة؛ زيادة على أنه كان الوحيد الذي ما انفك يَطالب باستقلال الجزائر منذ 1926 مع بداية نجم الشمال الإفريقي، ونرى هذا الدور يتضح على أربع مستويات: عند تحرير وثيقة (البيان) كان فرحات عباس يستشير زعماء حزب الشعب، وعند إنشاء "حركة البيان والحرية"، وعند اجتماع فرحات عباس بزعماء حزب الشعب، ولاسيما منهم محمد الأمين دباغين، وعسلة

حسين، لم يُقدم فرحات عباس على إنشاء هذه الحركة إلاّ بعد موافقة الحزب، وزعيمه مصالي الحاج، وبعد إنشاء هذه الحركة عرف حزب الشعب كيف يستولي على المكاتب المحلية لهذه الحركة، كما أحسن تنظيمها، وبثّ في شتى الجماهير فكرة الاستقلال، وضرورة اللجوء إلى الكفاح في الشارع، وطلب من مناضليه الذين كانوا يعملون في سرية تامة أن يناصروا هذه الحركة إلى درجة أن الجماهير كانت تُقبل على مكاتب التسجيل في طوابير طويلة، وعند اندلاع الأحداث كان حزب الشعب يُنظم المظاهرات، بمساعدة الكشافة الإسلامية الجزائرية. ولاشك أن عدداً غير قليل من الدراسات التاريخية؛ قد كشف لنا بجلاء الكثير من الملابسات والمعطيات والخلفيات التاريخية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية التي سبقت اندلاع انتفاضة 8 ماي 1945، والتي تحوّلت إلى مذابح فظيعة، ومن خلال كل ما سبق نخلص إلى أن هناك قضايا كثيرة أثّرت في الدراسات المنجزة عن مجازر 8 ماي 1945، حيث تمّ التركيز على الأسباب، والمجريات، والانعكاسات، والأماكن، وهي ما تزال بحاجة إلى البحث والتنقيب والمدارسة، على الرغم من وجود دراسات ثمينة قام بإنجازها ثلة من المؤرخين والدارسين والعلماء.

قائمة المراجع:

- الإبراهيمي، أحمد طالب، (2007م)، مذكرات جزائري أحلام ومحن (1932-1965م)، منشورات دار القصة للنشر بالجزائر .
- أجعود، رشيد، (2012م)، الشاهد الأخير، منشورات دار القصة للنشر بالجزائر .
- أمقران، عبد الحفيظ الحسني، (2010م)، مذكرات من مسيرة النضال والجهاد، منشورات دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر .
- آن ماي، لوانشي، (2013م)، مسيرة مناضل جزائري، منشورات دار دحلب للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر .
- بلعقون، عبد الرحمن، (1987م)، من وراء القضبان، منشورات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر .
- بن جديد، الشاذلي، (2011م)، مذكرات 1929-1979م، منشورات دار القصة للنشر .
- بن الشيخ، مسعود، (2011م)، أوراق من الذاكرة، منشورات المجلس الإسلامي الأعلى بالجزائر .

- بوداود، عمر، (2007م)، خمس سنوات على رأس فيدرالية فرنسا من حزب الشعب الجزائري إلى جبهة التحرير الوطني-مذكرات مناضل -، منشورات دار القصة للنشر بالجزائر.
- بيار وكلودين شولي، (2013م)، اخترنا الجزائر صوتان وذاكرة، منشورات دار البرزخ للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر.
- حربي، محمد. (1994م)، الثورة الجزائرية سنوات المخاض، منشورات موفم للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر.
- الحسني، محمد الهادي. (2004م)، من وحي البصائر، منشورات دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر.
- خير الدين، محمد (1981م)، مذكرات، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر وديوان المطبوعات الجامعية.
- شايد، حمود، (2010م)، دون حقد ولا تعصب صفحات من تاريخ الجزائر المحاربة، منشورات دار دحلب للطباعة والنشر والتوزيع بالجزائر.
- المدني، أحمد توفيق، (1988م)، حياة كفاح مذكرات، منشورات المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1988م.
- مرتاض، عبد الملك. (2003م)، أدب المقاومة الوطنية (1830-1962م) :رصد لصور المقاومة في النثر الفني، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م.
- مرتاض، عبد الملك. (1983م)، فنون النثر الأدبي في الجزائر (1931-1954م)، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية بالجزائر.